

توحيد السُّبُوتِ وَالْأَوْهِيَّتِ

الْفُرُوقُ بَيْنَهُمَا وَالتَّأْلِيفُ فِيهِمَا

تَأْلِيفُ

د. مُحَمَّدُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الْحَمَدِ



توحيد البروتية واللاهوتية

المؤلف: تينها وأكالف فيهما

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٦هـ. لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣ - ص ب: ٢٩٥٧
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإقليمي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تليفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوال: ٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحصاء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - ٥١٣٤٧٦٣٨٨ - بيروت
هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨
تليفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:

aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقدِّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن علم العقيدة أشرف العلوم، وأجلها قدرًا. وإن أعظم
وأشرف وأجل ما في هذا العلم مبحث الإيمان بالله - ﷻ - .
فالإيمان بالله أصل الأصول، وأهم المهمات، وهو أول ركن
من أركان الإيمان الستة.

بل إن جميع أركان الإيمان راجعة إليه متفرعة عنه.

والإيمان بالله - كما هو معلوم - يعني الإيمان بوجوده،
وبربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

فهو - إذًا - يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة.

والحديث في هذه الصفحات سيدور حول نوعين من هذه
الأنواع؛ وهما توحيد الربوبية والألوهية، وذلك في ناحيتين من
نواحيهما:

الناحية الأولى: الفروق بينهما.

الناحية الثانية: المؤلفات فيهما.

وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الفروق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

المطلب الثاني: التأليف في توحيد الربوبية.

المطلب الثالث: التأليف في توحيد الألوهية.

المطلب الرابع: التأليف في الجمع بينهما.

ومما يحسن التنبيه عليه أن البحث في هذه المطالب لا يعني استقصاء الفروق بينهما، ولا استيعاب جميع ما أُلّف فيهما.

وإنما هي محاولة لجمع ما تيسر من ذلك، فالإلى بيان تلك المطالب، واللّه المستعان، وعليه التكلان.

د. محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي: (ص.ب: ٤٦٠)

(١٠/١/١٤٣٦هـ)

جامعة القصيم - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

WWW.TOISLAM.NET

ALHAMAD@TOISLAM.NET

@M_ALHAMAD

المطلب الأول

الفروق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فروق، وتلازم، وعموم، وخصوص، وذلك كما يلي:

أولاً: يختلفان في أصل المادة، والاشتقاق والمعنى اللغوي:

فمادة الربوبية «رب»، والنسبة إليها «ربوبية»^(١)، ومادة الألوهية «أله»، والنسبة إليها «ألوهية»^(٢).

ثم إن معنى مادة «رب» يختلف عن مادة «أله»؛ فالرب يطلق في اللغة على: المالك، والسيد، والمدبّر، والمربي، والقيّم، والمنعم.

قال ابن منظور: «ولا يطلق غير مضاف إلا على الله - ﷻ - ، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا».

وقال: «وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله - تعالى - ، وليس بالكثير، ولم يُذكر في غير الشعر»^(٣).

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٣٩٩/١٠ - ٤٠٠.

(٢) انظر: لسان العرب ٤٦٩/٣.

(٣) لسان العرب ٣٩٩/١ - ٤٠٠.

وقال: «ورب كل شيء: مالكة ومستحقه، وقيل: صاحبه.

ويقال: فلان رب هذا الشيء أي مَلِكُهُ له.

وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُّ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهنَّ ربّات الحجال»^(١).

أما الرب - من حيث إنه اسم من أسماء الله - فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال - تعالى - : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر: ١٣].

قال ابن منظور: «الرب: هو الله - ﷻ - هو رب كل شيء، أي مالكة، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك»^(٢).
فهذا هو معنى كلمة «رب» في اللغة.

أما معنى كلمة «أَلَهَ»، فمعناها: عَبْدٌ، ومنه كلمة: إله، وهي على وزن فِعَالٌ بمعنى مفعول، كغراس بمعنى مغروس، وفراش بمعنى مفروش، وكتاب بمعنى مكتوب؛ فإله: فِعَالٌ بمعنى مفعول: أي مألوه، والتأله في لغة العرب معناه: التنسك والتعبد، فمعنى مألوه: معبود، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

(١) لسان العرب ١/٣٣٩.

(٢) لسان العرب ١/٣٩٩.

لِلَّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ

سَبَّخَنَ وَاسْتَرَجَعَنَ مِنْ تَأْلِهِي^(١)

والحاصل أن بين كلمتي «الربوبية» و«الألوهية» اختلافاً في الاشتقاق والمعنى اللغوي.

﴿ثانياً: يختلفان في المعنى الاصطلاحي:﴾

فتوحيد الربوبية يعرف بأنه: هو الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق للعالم، المحيي المميت، الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذل، لا رادَّ لأمره، ولا مُعَقَّبٌ لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سَمِيٌّ، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته^(٢).

وهناك تعريف آخر مختصر وهو: توحيد الله بأفعاله.

وتوحيد الألوهية يعرف اصطلاحاً بتعريفات عدة متقاربة، منها ما يلي:

١ - هو أفراد الله بأفعال العباد.

٢ - هو أفراد الله بالعبادة.

(١) انظر: لسان العرب ١٣/٤٦٩.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله، ص ٣٣ - ٣٤، وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٥٥، وانظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، ص ١٦.

٣ - هو إفراد الله - تعالى - بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله - تعالى - كائناً من كان^(١).

٤ - وعرفه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ بتعريف جامع ذكر فيه حدّه، وتفسيره، وأركانه، فقال: «فأما حدّه، وتفسيره، وأركانه فهو أن يُعَلِّمَ، ويُعْتَرَفَ عَلَى وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودةً بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله - تعالى -».

فإذا عرف ذلك واعترف به حقاً أفردته بالعبادة كلها: الظاهرة، والباطنة؛ فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة: كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والقيام بحقوق الله، وحقوق خلقه.

ويقوم بأصول الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره لله.

لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربّه، وطلب ثوابه، متابِعاً في ذلك رسول الله ﷺ.

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة للشيخ حافظ الحكمي، ص ٥١.

فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه وآدابه الاقتداءً بنبيه ﷺ في هديه، وسَمِّته، وكل أحواله»^(١).

وقال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ هَذَا النُّوعِ فِي مَنْظُومَتِهِ «سَلَّمَ الْوَصُولَ إِلَى عِلْمِ الْأَصُولِ» فِي التَّوْحِيدِ:

هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ إِفْرَادُ رَبِّ الْعَرْشِ عَنْ نَدِيدِ
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ إِلَهًا وَاحِدًا مُعْتَرَفًا بِحَقِّهِ لَا جَاهِدًا^(٢)

ثالثًا: يختلفان في الأسماء:

فلتوحيد الربوبية أسماء، منها:

- ١ - توحيد الربوبية - كما سبق - .
- ٢ - التوحيد العلمي .
- ٣ - التوحيد الخبري .
- ٤ - توحيد المعرفة والإثبات .
- ٥ - التوحيد الاعتقادي .

بينما يسمي توحيد الألوهية بأسماء أخرى غير تلك الأسماء،

وهي:

(١) انظر: الحق الواضح المبين لابن سعدي ١١٢ - ١١٣، والفتاوى السعدية لابن سعدي ص ١٠ - ١١، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة د. عبدالرزاق العباد البدر ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) سَلَّمَ الْوَصُولَ إِلَى عِلْمِ الْأَصُولِ، للشيخ حافظ الحكمي ص ٢٩ .

- ١ - توحيد الألوهية - كما مر - ، وسُمي بذلك باعتبار إضافته إلى الله، أو باعتبار الموحّد، ولأنه مبنيّ على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة.
- ٢ - توحيد العبادة؛ باعتبار إضافته إلى الموحّد وهو العبد، ولتضمنه إخلاص العبادة لله وحده.
- ٣ - توحيد الإرادة؛ لتضمنه الإخلاص، وتوحيد الإرادة والمراد؛ فهو مبنيّ على إرادة وجه الله بالأعمال.
- ٤ - توحيد القصد؛ لأنه مبنيّ على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده.
- ٥ - التوحيد الطلبي؛ لتضمنه الطلب والدعاء من العبد لله.
- ٦ - التوحيد الفعلي؛ لتضمنه أفعال القلوب والجوارح.
- ٧ - توحيد العمل؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده^(١).

رابعاً: توحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد:

فمن أجل تحقيقه أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب. وتوحيد الربوبية حق، وأمره عظيم، ولا يصح إيمان العبد إذا لم يؤمن به، ولكن هذا النوع من أنواع التوحيد ليس هو الغاية

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن

التي جاءت بها الرسل، وأنزلت من أجلها الكتب، وليس الغاية التي من جاء بها فقد جاء بالتوحيد وكماله؛ ذلك أن الله أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحتها وغايتها، ولم يقتصر على مجرد الإقرار به - كما هو غاية الطريقة الكلامية^(١) - .

يُضاف إلى ذلك أن المشركين كانوا مقرين به، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي وحده، بل لابد من توحيد الألوهية.

ثم إن توحيد الربوبية مركوز في الفطر كلها؛ فلو كان هو الغاية لما كان هناك حاجة لإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

خمساً: توحيد الربوبية الصق بتوحيد الأسماء والصفات:

ولهذا يدخلهما بعض العلماء - باعتبارٍ - في مسمّى واحد. وذلك عند من يقسم التوحيد إلى قسمين، ويجعل توحيد الربوبية والأسماء والصفات واحداً، كما في صنع الشيخ حافظ الحكمي رحمته الله حيث جعلهما شيئاً واحداً، وسماههما: التوحيد العلمي، الخبري، الاعتقادي.

وبعضهم يسميهما: توحيد المعرفة والإثبات - كما مر - .

أما توحيد الألوهية فمستقل عن هذين النوعين^(٢) .

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢/٢ .

(٢) انظر: معارج القبول ١/١٢١ .

﴿ سادساً: يختلفان في متعلقاتهما:

فمتعلق توحيد الربوبية: الأمور الكونية؛ كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، ونحوها.

ومتعلق توحيد الألوهية: الأوامر، والنواهي، من واجب، ومحرم، ومكروه.

ثم إن متعلق الربوبية - أيضاً - أفعال الرب.

أما توحيد الألوهية فمتعلقه أفعال المكلفين من صلاة، وصيام، ومحبة، ورجاء، وخوف، ونحو ذلك^(١).

﴿ سابعاً: يختلفان في المدلول:

فتوحيد الربوبية مدلوله علمي.

وأما توحيد الألوهية فمدلوله عملي^(٢).

﴿ ثامناً: الإقرار به:

فتوحيد الربوبية أقر به المشركون، وإن كان عندهم خلل فيه.

أما توحيد الألوهية فرفضوه.

وقد ذكر الله - ﷻ - ذلك بقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

(١) انظر: المدخل لدراسة العقيدة، د. إبراهيم البريكان ص ٩٦.

(٢) المرجع السابق ص ٩٦.

وذكر عن المشركين قولهم: ﴿أَجْعَلِ الْأَيْمَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ﴿٥﴾ [ص].

وقد مرت الإشارة إلى ذلك في فقرة سابقة.

ك تاسعاً: أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية:

بمعنى أن توحيد الألوهية خارج عن مدلول الربوبية.

ولكن توحيد الربوبية لا يتحقق إلا بتوحيد الألوهية.

بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية؛ فمن عرف أن الله ربه، وخالقه، ومدبر أموره، وقد دعاه ذلك الخالق إلى عبادته - وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له؛ فإذا كان هو الخالق الرازق وحده، لزم أن يكون هو المعبود وحده لا شريك له^(١).

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْجَحَ بِهِ مِنَ الضَّرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [البقرة].

يعني إذا كنتم تعلمون أنه هو الخالق وحده، فأفردوه بالعبادة وحده.

(١) انظر: دعوة التوحيد - أصولها - والأدوار التي مرت لها - مشاهير دعائها د. محمد خليل هراس ص ٣٠ - ٣٧، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ص ٢١.

﴿عاشراً: أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية:

بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية؛ فمن عبد الله وحده لا شريك له فلا بد أن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه، ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضرر، وله الخلق والأمر.

وهذا يعني أن توحيد الربوبية جزء من معنى الإلهية^(١).

﴿حادي عشر: أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا:

ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعاً في سياق واحد صار لكل واحد منهما معنى خاص يُراد به، كما في قوله - تعالى - : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس].

فيكون معنى «الرب»: هو المالك المتصرف، وهذا توحيد الربوبية، ويكون معنى «الإله»: المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه، وهذا توحيد الألوهية.

وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر، فيجتمعان في المعنى؛ كما في قول الملكين للميت في القبر: «من ربك؟»، ومعناه: من إلهك؟ وكما في قوله - تعالى - : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِي رَبِّي﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله: عن الخليل - عليه السلام - : ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّ-

(١) انظر: الإرشاد ص ٢١-٢٢، والمدخل ص ٩٦.

وَيُمِيتُ ﴿البقرة: ٢٥٨﴾، وكما في قوله - تعالى - : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ
 إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ مَعَ اللَّهِ
 قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

فهذا ما تيسر جمعه من الفروق بين توحيد الربوبية
 والألوهية^(١).

وأخيراً لا بد لسلامة التوحيد، والفوز بالدارين من تحقيق
 هذين الأمرين.



(١) انظر: تفصيل ذلك في كتاب: حقيقة التوحيد والفروق بين توحيد الربوبية
 والألوهية د. علي العلياني ص ٧٩ - ١٤٢.

المطلب الثاني

التأليف في توحيد الربوبية

الكلام على توحيد الربوبية - عمومًا - يوجد في كتب التفسير؛ وذلك عند الحديث عن الآيات التي تدور حول الكون، وما فيه من بديع الصنع، وعجيب الإتقان، كآيات التي تتكلم على خلق السماوات والأرض، وخلق الجبال، والإنسان، ونحو ذلك؛ فيتخلل ذلك حديث عن ربوبيته - ﷻ - وعظمته، وقهره، وقدرته، وعلمه، ونحو ذلك من مقتضيات الربوبية.

كما يوجد الكلام على ذلك النوع من التوحيد في شروح السنة؛ خصوصًا عند الكلام على الأحاديث التي يرد فيها ذِكرُ لِعِظَمِ خَلْقِ اللَّهِ، وربوبيته.

وأكثر ما يَرِدُ الحديث عن توحيد الربوبية - في كتب العقائد عمومًا، وذلك عند الحديث عن إثبات وجود الله، وعن عظيم قدرته، ولطيف حكمته، أو عند الحديث عن أنواع التوحيد الثلاثة، وهكذا.

أما إفراده في التأليف فقليل جدًا^(١).

(١) وقد يسر الله لي تأليف كتاب عنوانه: «توحيد الربوبية»، وتعرضت فيه =

وسيكون الحديث فيما يلي عن ذكر نماذج لمؤلفات تحدثت عن الربوبية إما إفراداً، أو من خلال تخصيص فصولٍ منها للحديث عن الربوبية، أو بعض مقتضياتها دون حديث عن الألوهية.

كـ أولاً: المؤلفات الخاصة بتوحيد الربوبية:

التأليف الخاص بالربوبية قليل جداً.

ولعل أهم ما ألف في ذلك ما جاء في المجلد الثاني من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله؛ حيث جاء حاملاً مسمى: «كتاب توحيد الربوبية».

وهذه التسمية ليست من عند ابن تيمية، ولا قصد وضعها في مؤلف واحد، وإنما هي من جامع الفتاوى: الشيخ عبدالرحمن ابن قاسم وابنه محمد - رحمهما الله - .

وقد اشتمل ذلك الكتاب على مباحث كثيرة في توحيد الربوبية، وما يندرج تحته؛ حيث تكلم ابن تيمية على أصل العلم الإلهي، ومبدئه، وأن معرفة الله أول فرض، وبأي شيء

= لتعريفه، وأسمائه، وأنواع ربوبية الله على خلقه، وبيان أن توحيد الربوبية ليس هو الغاية في التوحيد.

كما تطرقت لأدلة توحيد الربوبية، وآثاره وثمراته، ومضادة توحيد الربوبية، وإنكار الربوبية، والفروق التي أشركت بتوحيد الربوبية. وقد طبع ذلك الكتاب مفرداً مراراً، ثم ضمنته كتابي «رسائل في العقيدة» فجاء في الرسالة الثالثة من ص ١١٧ - ١٣٢.

يعرف (١).

كما تطرق لدلائل توحيد الربوبية، وإمكان المخلوقات (٢).

كما تعرض لطرق الفلاسفة، والمتكلمين، وأصولهم التي يفرعون عليها، وأدلتهم وما فيها من الفساد (٣).

كما بين أن المتكلمين إنما انتصبوا لإقامة المقاييس على توحيد الربوبية، مع أنه لم ينازع في أصله أحد (٤)، وأن المعرفة المطلقة والتأله المطلق تقود إلى الإلحاد والحلول (٥).

وتطرق لما عند أرسطو وأتباعه من معرفة الله - ﷻ - (٦).

وفي الكتاب بيان لضلالات غلاة الصوفية، وبيان حقيقة مذهبهم في الربوبية كابن عربي، والقونوني، والتلمساني، وابن سبعين، وابن الفارض، وأتباعهم (٧).

كما أن فيه بياناً وتفصيلاً لحقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود (٨)، وإجابة عن أقوال وأشعار لأهل وحدة الوجود

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١/٢ - ٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ٣٦/٢ - ٣٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/٢٠ - ٢٣.

(٤) انظر: المرجع السابق ٢/٣٧ - ٣٨.

(٥) انظر: المرجع السابق ٢/٦٤ - ٨٢.

(٦) انظر: المرجع السابق ٢/٨٣ - ٨٥.

(٧) انظر: المرجع السابق ٢/١٢٣ - ١٣٣.

(٨) المرجع السابق ٢/١٣٤ - ٢٨٥.

مضمونها أن الله هو الخلق، والخلق هم الله^(١).
إلى غير ذلك من المباحث الكثيرة التي تدور حول ما ذكر،
والتي يتخللها استطرادات كثيرة نافعة - كما هي عادة ابن تيمية
رحمته الله - .

ثانياً: المؤلفات التي تعرضت لتوحيد الربوبية:

ولا أعني بذلك كتب الاعتقاد التي يتنظم الواحد منها أبواب
العقيدة، أو جملة منها.

وإنما أعني الكتب التي تطرقت لشيء من مباحث العقيدة، ثم
خصصت بعض الفصول لتوحيد الربوبية، أو جانب من جوانبه.

ومن أشهر الكتب في هذا السياق كتاب: «شفاء العليل في
مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» للإمام ابن القيم رحمه الله.

ولا ريب أن القدر داخل باب الإيمان بالله، وفي توحيد
المعرفة والإثبات؛ ذلك أن القدر قدرة الله كما يقول الإمام
أحمد رحمه الله^(٢).

ولعل ألتصق ما في ذلك الكتاب بتوحيد الربوبية ذلك الفصل
النفيس الذي عقده ابن القيم في بيان هداية المخلوقات، ودلالة
تلك الهداية على ربوبية الله - عز وجل - حيث تحدث عن هداية الطير،

(١) المرجع السابق ٢/٢٨٦ - ٢٩٣.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٨/٣٠٨، وطريق الهجرتين لابن القيم ص ٧٠.

والوحش، والدواب، وذكر عنها أمورًا عجيبة تأخذ بالألباب، وتدل على رب الأرباب، ومسبب الأسباب.

وقد تكلم من خلال ذلك على هداية النحل، والنمل، والهدهد، والذئب، والثعلب، والحمام، والديك، والفأرة، والأسد، والفيل وغيرها.

ثم ختم كلامه بأن يبين أن هذا كله من أدل الدلائل على الخالق لها - ﷻ - وعلى إتقان صنعه، وعجيب تدبيره، ولطيف حكمته؛ فإن فيما أودعها من غرائب المعارف، وغوامض الحيل، وحسن التدبير، والتأني لما تريده - ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته، ومعرفة حكمته، وقدرته، وما يعلم به كل عاقل أنه لم يخلق عبثًا، ولم يترك سدىً، وأن له حكمةً باهرةً، وآيةً ظاهرة، وبرهانًا قاطعًا، يدل على أنه رب كل شيءٍ ومليكه، وأنه المنفرد بكل كمالٍ دون خلقه، وأنه على كل شيءٍ قدير، وبكل شيءٍ عليم^(١).

كـ ثالثاً: توحيد الربوبية في كتب العقيدة العامة الجامعة:

والمقصود هاهنا الكتابة عن الربوبية ضمن موضوعات أخرى في العقيدة.

وذلك كشأن الكتب الجامعة في العقيدة، والتي تتناول أبواباً شتى منها، ومن ضمنها توحيد الربوبية.

(١) انظر: شفاء العليل ص ١٤٧ - ١٦٤.

والتأليف في ذلك كثيرة جدًا، ولعل أبرزها ما يلي:

١ - شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي: وهذا الكتاب من أشهر وأوسع الكتب التي تمثل عقيدة السلف الصالح، والتوحيد الخالص؛ وهو كتاب يعز نظيره في التحقيق والبيان، والعمق، والإحاطة، والتزام منهج الحق الذي كان عليه السلف الصالح.

ومما يميز ذلك الكتاب - أيضًا - إكثار النقل عن كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وإن كان ذلك من غير إحالة إليهما.

ولعل له عذرًا، وهو أن عقيدة السلف آنذاك كانت تحارب من قبل كثير من أعدائها، مما جعل بعض أنصارها لا يتظاهرون بها غالبًا^(١).

والذي يعيننا هنا تطرقه لتوحيد الربوبية، وذلك ضمن ما تطرق له من أبواب العقيدة الأخرى؛ حيث بين في أول كتابه أنواع التوحيد، فقال: «فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحد الكلام في الصفات، والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، والثالث: توحيد الإلهية: وهو استحقاقه - ﷻ - أن يعبد وحده لا شريك له»^(٢).

(١) انظر: مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص ٥ - ٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٨.

ثم شرع بعد ذلك في تفصيل الكلام على توحيد الربوبية، وبيان أهميته، وأنه هو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية^(١).

ثم بين أن القلوب مفطورة على الإقرار به، وأن أشهر من تظاهر بإنكار الصانع فرعون.

كما تعرض لضلال النصارى في الربوبية، وذلك لقولهم بالثلاث، وتعرض لضلال عبّاد الكواكب، وبين أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية^{(٢)(٣)}.

كما ساق الأدلة العقلية، والعقلية، والفطرية التي تشهد لتوحيد الربوبية، وتدل عليه^(٤).

٢ - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد: للشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٤٢ هـ) - (١٣٧٧ هـ).

وهو من الكتب الجوامع في العقيدة، ويعد من أشملها، وأوسعها، وأكثرها استدلالاً بالكتاب والسنة، وأقوال السلف. وأصله متن في العقيدة نظمه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ثم شرحه.

(١) انظر: المرجع السابق ص ٧٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٨٠.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٨١.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٨١ - ٨٨.

وقد طبع عدة طبعات، ومن آخر الطبعات الطبعة التي اعتنى بها الشيخ: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن الجوزي، ويقع الكتاب في ثلاثة مجلدات في ١٤٣٨ صفحة.

وقد تطرق فيه لتوحيد الربوبية، وسماه: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وجعله هو وتوحيد الأسماء والصفات تحت هذا المسمى الواحد^(١).

ثم فصل القول عن هذا النوع، وذكر الأدلة عليه، وأقوال المخالفين فيه، والرد عليهم^(٢).

وبالجملة فالكتاب من أعظم ما ألف في بابه، ومن أكثرها شمولاً، وتفصيلاً.

٣ - الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، والرد على أهل الشرك والإلحاد: للشيخ العلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، واللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية.

والكتاب يقع في مجلد واحد يشتمل على جزأين، وعدد صفحاته ثلاثمائة وأربع عشرة صفحة، طبعة دار الذخائر - الدمام، عام ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

وهذا الكتاب - كما هو واضح من عنوانه - يدور حول العقيدة

(١) معارج القبول ١/١٢١.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/١١٩ - ٤٩٠.

الإسلامية من حيث بيان أصولها التي هي أركان الإيمان الستة، حيث فَصَّلَ القول فيها، ودَكَرَ الأدلة على ذلك، والرد على المخالفين في شأنها.

ومن أعظم مزايا الكتاب وضوح عبارته، ويسر فهمه؛ إذ كان الكتاب في أصله حلقات أُلقيت في «إذاعة القرآن الكريم» في المملكة العربية السعودية، ثم خرج في مؤلف.

هذا وإن من ضمن ما جاء في ذلك الكتاب: تفصيلاً لتوحيد الربوبية وما يتعلق به، وذلك في الجزء الأول من الكتاب؛ حيث بين مفهوم توحيد الربوبية^(١)، وعلاقة توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية والعكس^(٢).

فهذا مجمل ما اشتمل عليه الكتاب المذكور من ذكر لتوحيد الربوبية.



(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ١٧ - ١٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٢٣ - ٢٦.

المطلب الثالث

التأليف في توحيد الألوهية

الكلام على توحيد الألوهية - عمومًا - مبثوث في بطون التفاسير، وفي غضون شروح الأحاديث، وفي تضاعيف كتب العقائد.

أما الكتب التي خصت توحيد الألوهية بالبحث، وأفردته بالتأليف فهي قليلة بالنسبة للكتب التي تكلمت عليه ضمن مباحث أخرى^(١).

ثم إن الكتب التي أفردته بالبحث لا تكاد تتمحض للحديث عنه فحسب؛ إذ غالبًا ما يدخل ضمن الحديث عنه كلام على غيره من المباحث الأخرى، وإن كان الحديث عنه هو السمة

(١) وقد يسر الله لي تأليف كتاب عنوانه «توحيد الألوهية»، وتعرضت فيه لمفهوم توحيد الألوهية، وأهميته، وأدلته، ووقوع الضلال فيه، وعلاقته بتوحيد الربوبية، وطرق الدعوة إليه في ظلال القرآن الكريم. كما تطرقت لمفهوم العبادة، وشروط قبولها، وأهمية ذلك، وأركان العبادة، وحكم تغليب بعضها على بعض.

وقد طبع ذلك الكتاب مفردًا مرارًا، ثم ضمته كتابي «رسائل في العقيدة» فجاء في الرسالة الخامسة من ص ١٢٣ - ١٦٧.

الغالبية في تلك الكتب.

وفيما يلي عرض موجز لأهم التأليف في الألوهية:

﴿ أولاً: المجلد الأول من «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن

تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

حيث جاء حاملاً مسمى «توحيد الألوهية»، وهذه التسمية لم يضعها ابن تيمية، ولم يتقصد جمعها في مؤلف واحد، وإنما هي من وضع الجامع لها، وهما الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، وابنه الشيخ محمد - رَحِمَهُمَا اللهُ - .

والذي حملهما على هذه التسمية ما ضمناه ذلك المجلد من المباحث التي دارت حول توحيد الألوهية، وذلك كما في المباحث التالية - على سبيل المثال - :

١ - قاعدة في توحيد الألوهية، وإخلاص العمل لوجه الله^(١).

٢ - فصل: في وجوب اختصاص الخالق بالعبادة^(٢).

٣ - فصل: في أن لا يسأل العبد إلا الله^(٣).

٤ - فصل: في جماع الحسنات والسيئات: إخلاص الدين

أصل العدل، والشرك أعظم الظلم^(٤).

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٢٠ - ٣٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٧ - ٣٨.

(٣) مجموع الفتاوى ١/ ٧٨ - ٧٩. (٤) مجموع الفتاوى ١/ ٨٦ - ٨٧.

٥ - معنى الاستغاثة^(١).

٦ - التوسل والوسيلة: وهي أطول المباحث في الكتاب المذكور^(٢).

وتحت كل فصل من هذه الفصول أو العنوانات تفصيل،
وتحرير.

ولا يعني ذلك أن تلك المباحث متمحضة لتوحيد الألوهية؛ بل هي مشتملة على استطرادات كثيرة، ودخول في موضوعات أخرى بحسب ما يستدعيه المقام - كما هي عادة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله - .

ثم إن المجلد العاشر من مجموع الفتاوى لابن تيمية المُعْتَمَد بـ «السلوك»، مشتمل على كثير من المباحث في الألوهية. وأجلُّ تلك المباحث رسالته الموسومة بـ «العبودية»^(٣) التي طبعت مفردة مراراً.

وكذلك ما جاء في «التحفة العراقية» من ذلك المجلد^(٤).
وليس ذلك وحده هو ما كتبه ابن تيمية في توحيد الألوهية؛ بل إن كلامه على الألوهية مبثوث في كثير من تضاعيف كتبه؛ بل

(١) مجموع الفتاوى ١/١٠٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١/١٤٢ - ٣٦٨.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/١٤٩ - ٢٣٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/٥ - ٩٠.

لا يكاد يخلو كتاب منها من التذكير بذلك الأصل العظيم.

﴿ثانياً﴾: «مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين»،

للإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا الكتاب من أضخم الكتب التي تكلمت على العبادة من حيث منازلها، وأسرارها، وفضائلها، وأحوال الناس فيها، وربطها بالسلوك، والأخلاق وما جرى مجرى ذلك.

وقد كتب بعبارة أدبية رائعة شائقة؛ كيف لا، وابن القيم من أرباب البيان والأدب.

والكتاب يشتمل على حشد كثير لنصوص الوحيين، وأقوال السلف.

كما أنه يحتوي على استطراد كثير، وتطرق لمسائل كثيرة في الفقه، والأصول، والسلوك، والأدب، وما جرى مجرى ذلك.

وقد طبع مراراً، واختصر، وأخذت فيه رسائل علمية.

من أشهر طبعاته طبعة دار النفائس الرياض، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي.

﴿ثالثاً﴾: «تجريد التوحيد المفيد»، للإمام العلامة أحمد

المقريزي المصري الشافعي:

المولود سنة (٧٦٦ هـ)، المتوفى سنة (٨٤٥ هـ)، وصاحب

المصنفات البديعة التي قاربت الخمسين عنواناً، وقارب عدد

مجلدات بعضها المائة، ومنها:

- الإشارة والإعلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام.
 - إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأبناء والأخوال والحفدة والمتاع.
 - البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد.
 - السلوك لمعرفة دول الملوك.
 - تجريد التوحيد المفيد^(١)، وهو الكتاب الذي بين أيدينا.
- هذا وقد نوقشت رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بعنوان «الإمام المقرئ ومنهجه في العقيدة» للشيخ إبراهيم المالكي^(٢).
- ولقد كتب الأئمة قبل المقرئ في تقرير توحيد الألوهية تبعاً واستقلالاً.
- ولكن لعل كتابه هذا هو أول كتاب مؤلف مفرد فيه^(٣).

وهذا الكتاب يمتاز بصفاء مشربه، ولطافة حجمه، وسهولة ألفاظه، وإشراقه عبارته، وإفادته من شيخ الإسلام ابن تيمية

(١) انظر: ترجمته في إنباء الغمر لابن حجر ٩/ ١٧٠ - ١٧٢، والمنهل الصافي لابن تغري بردي ١/ ٤١٥ - ٤٢٠، والإعلان بالتوبيخ للسخاوي ص ٥٦ - ٦٢، ومقدمة الشيخ علي العمران على كتاب تجريد التوحيد ٧ - ١٨.

(٢) انظر: مقدمة العمران ص ١٨.

(٣) انظر: مقدمة العمران على تجريد التوحيد المفيد للمقرئ ص ٨؛ حيث نقل ذلك عن الشيخ العلامة بكر أبو زيد رحمه الله.

وتلميذه ابن القيم.

والكتاب في جملته خاص في توحيد الألوهية تأصيلًا وتفريعًا، ودحضًا لشبهات المنحرفين والضالين ونحوهم، وإن كان قد تعرض لموضوعات غير الألوهية مما لها ارتباط بذلك النوع من التوحيد.

ومن أهم ما تطرق إليه في ذلك الكتاب: معنى الرب والإلهية، وحقيقة التوحيد وثمرته، وقشر التوحيد ويعني به ألا يكون في القلب مخالفة، ولا إنكار لمفهوم القول، بل يشتمل على اعتقاد ذلك، والتصديق به، وهذا - كما يقول - توحيد عامة الناس.

كما تطرق لبَابِ التوحيد، وبعض ما يقدر فيه، وتحقيق الكلام على الألوهية والربوبية.

وتعرض لأصناف الضلال من مشركين، وفلاسفة، وتطرق لأنواع الشرك، ودقائقه، وفصل في العبادة وشروطها، وأحوال الناس فيها، إلى غير ذلك مما جاء في ذلك الكتاب الماتع رغم اختصاره وقلة صفحاته.

وقد لقي ذلك الكتاب ثناءً عاطفًا من العلماء؛ كصديق خان، وعبدالتواب الملتاني، ومحمد منير الدمشقي، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ بكر أبو زيد - رَحِمَهُمُ اللهُ -^(١).

ومع ذلك فإن الكتاب لم يأخذ حظه من الذيوع والانتشار.

(١) انظر: تجريد التوحيد المفيد تحقيق العمران ص ٢٤ - ٢٥.

والناظر في ذلك الكتاب يكاد يجزم بأن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله أفاد منه في كتابه «التوحيد»؛ وذلك في طريقة التبويب، والتعرض لمسائل الشرك ونحوه.

هذا وقد طبع ذلك الكتاب مرارًا، ولعل أجود طبعاته طبعة الشيخ علي العمران الذي جاء مع المقدمة، والتحقيق والفهرسة في مائة واثنتي عشرة صفحة من القطع المتوسط.

وكذلك الطبعة التي حققها وعلق عليها الشيخ ياسين بن علي ابن سالم الحوشبي العدني، والتي جاءت في مائة وخمس صفحات دون فهرسة.

﴿ رابعاً ﴾: «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله :

فهو من أنفس الكتب، وأعظمها، وأهمها، وألصقها بتوحيد الألوهية؛ فالإمام - كما هو معلوم - قد خرج في عصر يعج بالفتن، ويميد بالاضطرابات، وتشيع فيه مظاهر الشرك المتنوعة؛ فשמّر عن ساعد الجد، وقام بتلك الدعوة المباركة الرشيدة، والتي كان من ثمارها «كتاب التوحيد».

وهو كتاب يدور حول مفهوم التوحيد، ووجوب أفراد الله بالعبادة، ونبذ الشرك كبيره وصغيره، جليه وخفيه، قوليه وفعليه.

كما تطرق للوسائل والذرائع المفضية إلى الشرك.

وهذا الكتاب - وإن كان في توحيد الألوهية - هو - أيضاً -

يتضمن كلامًا على أنواع التوحيد الأخرى، وعلى أبواب العقيدة كباب القدر، ونحوه.

ثم جاءت من بعده الشروح التي زادت من قيمة ذلك الكتاب، وأبانت عن مكنوناته.

ويأتي على رأس تلك الشروح أولها، وهو كتاب تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله رحمته الله، وفتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله، وغيرها من الشروح التي تابعت إلى عصرنا الحاضر.

ومن أعظم ميزات ذلك الكتاب انطلاقه من القرآن والسنة، ووقوفه على فضائل التوحيد، وأهمية ووجوب الدعوة إليه، والتحذير من ضده.

ومن مميزاته العظيمة غوصه على دقائق وخفايا في التوحيد والشرك مما يدل على دقة فهمه، وعنايته بجناب التوحيد.

وبالجملة فالكتاب وصاحبه أشهر من أن يذكر.

ومنذ أن أُلِّف وهو يلقي القبول من الخاصة والعامة إلى يومنا هذا، ويلقى المناوأة من أعداء التوحيد على اختلاف مشاربهم.

﴿ خامساً: «عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية»،

للشيخ العلامة سعد بن حمد بن عتيق:

المتوفى سنة (١٣٤٩هـ)، شيخ مشايخ نجد، كسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت ١٣٨٩هـ)، وسماحة الشيخ

عبدالعزیز بن باز (ت ١٤٢٠هـ) وغيرهم - رَحِمَهُمُ اللهُ - .
وهذا الكتاب نادر في بابهِ؛ إذ المؤلفات في المفردة في
توحيد الألوهية نادرة جداً - كما هو معلوم - .

ويقع الكتاب في إحدى وعشرين صفحة من القطع الصغير،
وقد طبع في المطبعة الأهلية للأوفست في الرياض على نفقة
الشيخ محمد بن علي الصانع، وقد قام على طبعه الشيخ إسماعيل
ابن سعد بن عتيق، وقدم له بمقدمة يبيِّن من خلالها تعريفاً بالكتاب،
وسبب تأليفه، فقال: «الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على
من لا نبي بعده».

وبعد، فهذه عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية تأليف
العلامة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رَحِمَهُمُ اللهُ .

وجدناها بعد البحث الطويل ضمن مخطوطات جامعة الرياض
بقلم الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن مقرن نقلاً عن خط محمد بن
إسحاق بن عتيق، نقلاً عن خط المؤلف، أجاب فيها رَحِمَهُمُ اللهُ سنة
(١٣٠٢هـ) حينما سئل وهو في الهند عن معتقد مشايخه من أهل
بلده في المسائل الثلاث الوارد ذكرها في الرسالة.

عرضتها على عدد من العلماء الأفاضل منهم شيخنا العلامة
عبدالله بن محمد بن حميد، والشيخ الفاضل إبراهيم بن محمد
آل الشيخ، فأشاروا بطبعها، وشجعوا على نشرها؛ للاستفادة
منها، فها هي بين يدي القارئ الكريم تعطي حقيقة الواقع والمعتقد

السليم لأئمة الدعوة، وعلماء نجد الأعلام، وما عليه العامة منهم والخاصة.

وحسبي أن أقول: إنها بقلم الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن علي بن عتيق أحد العلماء الأفذاذ، الذين جمعوا بين العقيدة والعبادة، والتحقيق في العلم، والدعوة والجهاد، والله ولي التوفيق^(١).

هذا وإن تلك الرسالة - على وجازتها - من أنفس ما كتب في بابها، وقد تضمنت الإنكار على ما يفعل عند قبر النبي ﷺ من دعائه، والتضرع إليه، والاستعانة به، ونحو ذلك مما يفعل عند قبره وقبر غيره، وتفصيل القول في مسألة شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ ومسألة التوسل بالنبي ﷺ.

فهذا مجمل ما تدور عليه الرسالة، وفيما يلي عرض لأهم ما ورد في تلك الرسالة:

١ - افتتح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الكتاب بيان سبب تأليفه؛ حيث قال: «الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: فقد سألتني بعض الأحباب أن أكتب ما أعتقده، ويعتقده مشايخي من أهل بلدي فيمن يأتي إلى قبر النبي ﷺ ويقول: يا رسول الله أغثنِي، أو اشفع لي، أو غير ذلك من أنواع السؤال. وكذلك ما نعتقده في شد الرحل إلى قبر النبي ﷺ، وما نعتقده

(١) عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية ص ٣.

في التوسل بالنبي ﷺ، فنقول - مستعينين بالله، مستمدين منه الصواب - : الذي نعتقده، وندين لله - تعالى - به في هذه المسائل وغيرها، هو ما دل عليه كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ^(١).

٢ - شرع بعد ذلك في بيان هداية القرآن، وإخراجه الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشقاوة إلى السعادة، وأورد عددًا من الآيات في ذلك السياق^(٢).

٣ - فصّل القول في إنكار ما يُفعل عند قبر النبي ﷺ من دعائه، والتضرع إليه، وسؤاله بأنواع السؤال، وكذلك ما يفعله عباد القبور من دعاء الأموات، والاستعانة بهم عند الشدائد، والمهمات، والاستنجاد بهم في تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات.

وبين أن ذلك الصنيع من أعظم المحدثات، وأكبر المنكرات؛ لأنه - كما يقول - من الدعاء الذي هو مخ العبادة التي هي حق الله - تعالى -^(٣).

ثم ساق أدلة كثيرةً من الكتاب والسنة في تأييد ما ذكره، وبين من خلالها إبطال الشرك، ووجوب إفراد الله بأنواع العبادة، وأوضح مفهوم العبادة، وارتضى تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية

(١) المرجع السابق ص ٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٦ - ٧.

لها، وهي قوله: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة».

ويبين أن للعبادة أصليين تُبنى عليهما؛ وهما - كما قال ابن القيم - غاية الحب وغاية الذل، وساق أبياتاً من نونية ابن القيم توضح ذلك^(١).

وقرر بعد ذلك أن مَنْ أخلص العبادة لله بجميع أنواعها فهو المسلم، وإن فعل الكبائر.

وأن من أشرك في شيء من أنواعها مخلوقاً نبياً، أو ملكاً، أو صالحاً، أو شيطاناً، أو شجراً، أو حجراً - فقد بدل الدين، وأشرك برب العالمين، وسلك ضد سبيل المؤمنين^(٢).

ثم أورد الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة، وكلام المفسرين، والمحققين من أهل العلم كابن تيمية وابن القيم^(٣).

٤ - شرع بعد ذلك في تفصيل الكلام على المسألة الثانية، وهي مسألة شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ، فقال: «وأما المسألة الثانية - وهي مسألة شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ - ؛ فقد جَوَّز طائفة من متأخري العلماء شد الرحل إلى قبر النبي ﷺ وكذلك قبور الصالحين، وخالفهم طوائف من المحققين.

(١) انظر: المرجع السابق ص ٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٩ - ١٤.

والذي نعتقده هو ما دل عليه الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى».

وبهذا الحديث الصحيح تعرف بطلان قول المجوزين؛ فإن كل قول يخالف قول سيد المرسلين مردود على قائله مضروب به في وجهه لا يلتفت إليه، ولا يعول عليه»^(١).

وبعد أن قرر أن شد الرحل لزيارة القبر الشريف أو غيره من قبور الصالحين ممنوع - بين أنه ينبغي لمن شد الرحل إلى أحد المساجد الثلاثة أن يزور من هناك من الصالحين، وأن زيارة القبور من غير شدِّ رحلٍ مرغَّبٌ فيها.

وأوضح خطأ ما يتوهمه بعض العامة من أن الزيارة إنما شرعت لأجل التبرك بالصالحين، وتحري الإجابة عند قبورهم؛ فهذا الاعتقاد - كما يقول - «وَهُمْ فَاسِدٌ مُخَالَفٌ لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(٢).

ثم ساق أقوالاً، وآثاراً في ذلك الشأن.

وختم الكلام على هذه المسألة بقوله: «وليت أهل زماننا اقتصروا على البدعة ودعوا الله عند قبور الصالحين ولا أشركوهم في خالص حق الله».

وأنت تراهم يسافرون إلى القبور من مسيرة أشهر، وبعضهم

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٦.

(١) المرجع السابق ص ١٥.

يرى ذلك السفر أفضل من الحج إلى بيت الله، يفعلون عند تلك القبور وفي تلك المشاهد من الشرك والكفر ما تطير منه أفئدة أهل الإيمان.

اللهم إنا نعوذ بك من الشرك، ووسائله، والله أعلم^(١).

٥ - انتقل إلى الكلام على المسألة الثالثة، وهي التوسل بالنبي ﷺ، وبين مفهومها، وثمره الخلاف فيها، فقال: «وأما المسألة الثالثة وهي مسألة التوسل بالنبي ﷺ وهو أن يقول القائل: اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ، فهي مسألة مشهورة والكلام فيها معروف عند أهل العلم؛ فطائفة من العلماء منعوا من ذلك سواء توسل بالنبي ﷺ أو بغيره.

وطائفة جوزوا ذلك بالنبي ﷺ لا بغيره، واستدل هؤلاء بما روى الترمذي والنسائي أن النبي ﷺ علم بعض أصحابه أن يدعوا فيقول: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا رسول الله، إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي؛ ليقضها اللهم فشفعه في».

فاستدلوا بهذا الحديث على جواز التوسل به ﷺ في حياته وبعد مماته، وقالوا: ليس في التوسل به ﷺ دعاء للمخلوق ولا استغاثة به، وإنما هو دعاء، ولكن فيه بجاهه ﷺ^(٢).

(١) المرجع السابق ص ١٧.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: «ولكن فيه توسل بجاهه، أو ولكنه =

وقالوا: وهذا مثل قوله فيما رواه ابن ماجه في دعاء الخارج إلى الصلاة: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا؛ فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً؛ خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك؛ أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي الذنوب جميعاً؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

هذا حاصل ما استدل به المجوزون للتوسل به ﷺ^(١). ثم ذكر أقوال المانعين، فقال: «وأما المانعون من ذلك فيقولون: إن صح الحديث فليس فيه دليل على جواز التوسل به ﷺ بعد مماته.

وإنما فيه جواز ذلك في حياته بحضوره.

قالوا: والدليل على صحة ما قلناه: أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس - ﷺ - فقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقيننا، وإنا نتوسل بعم نبيك؛ فاسقنا. فيسقون.

ولو كان التوسل به ﷺ بعد مماته مشروعاً لما عدل عمر عن النبي ﷺ إلى العباس؛ هذا ما ذكره العلماء في هذه المسألة^(٢).

ونبه بعد ذلك على خطأ شائع ينسب إليهم في هذه المسألة فقال: «ونحن وإن قلنا بالمنع من التوسل به ﷺ بهذا اللفظ أو

= توسل بجاهه».

(١) المرجع السابق ص ١٨.

(٢) المرجع السابق ص ١٧ - ١٨.

نحوه لما نعتقده من أَصْحَابِ المنع - فنحن مع ذلك لا نشدد في ذلك على من فعله مستدلاً بالحديث، فضلاً عن أن نكفره - كما ينسبه إلينا من لم يعرف حقيقة ما نحن عليه - .

وكذلك قول بعضهم: إنا نكفر الناس بالعموم، ونستبيح دماء الناس وأموالهم من غير حجة، وكقول بعضهم: إنا نمنع من زيارة القبور، ونكفر من فعله ونحو هذه الأقاويل التي برأنا الله منها وله الحمد^(١) .

ثم خُلصَ من ذلك إلى البراءة مما ينسب إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ مِنَ التَّكْفِيرِ، وبين أنهم لا يكفرون إلا من كفره الله ورسوله ﷺ وحذر من القول على الله بغير علم، وأوضح أن مَنْ لم يعرف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه فإنه ينسب إليهم من البهتان ما هم منه براء.

ثم ذكر سبب ذلك الظلم والافتراء على الدعوة وأتباعها، فقال: «وسبب ذلك أن الرجل المشهور الذي أقام الله به هذه الملة الحنيفية ونفع بدعوته جمعاً غفيراً من الأمة - وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - لما دعا إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله، والتخلي من الرسوم العادية والوسائل الشركية - شرق بذلك أكثر الناس، واستعظموه قائلين ما قال إخوانهم الأولون: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَجِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ﴿٥﴾

(١) المرجع السابق ص ١٩ .

وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ ﴿٧﴾ [صرا].

وجنوا عليه وعلى أتباعه بالسب والتكفير، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وسعوا لهم بالغوائل، كل ذلك عند قوله: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١).

ثم ختم الرسالة بقوله: «هذا ما أردنا تسويده في هذه المسائل الثلاث مع فقد الكتب، وتشتت الذهن، وتشعب الفؤاد، لما نقاسيه من أعباء الغربية، وعظم المشاكل.

وأسال الله أن ينظرني بعين عنايته، ويرحم غربتي في الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين»^(٢).

ثم جاء في آخر الرسالة ما نصه: «حرره الفقير إلى مولاه سعد ابن حمد بن عتيق (١٣ شوال ١٣٠٢هـ)، ونقله من قلمه الفقير إلى مولاه محمد بن إسحاق بن حمد بن عتيق سنة (١٣٣٥هـ)، ونقله من قلم ابن إسحاق الفقير إلى رحمة ربه المحسن عبدالعزيز ابن حمد بن مقرن، وصلى الله على محمد، والحمد لله رب العالمين؛ حرر في (١٨ صفر ١٣٥٨هـ)»^(٣).

(١) المرجع السابق ص ٢٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢١.

(٣) المرجع السابق ص ٢١.

فهذه نبذة عن ذلك الكتاب النادر في موضوعه؛ من جهة أنّ
إفراد هذا النوع بالتأليف قليل جداً - كما مر - .



المطلب الرابع

التأليف في الجمع بينهما

التأليف في الجمع بين توحيدي الربوية والألوهية غالباً ما يكون داخلاً ضمن أبواب الاعتقاد الأخرى؛ حيث يكون الكلام على أبواب العقيدة عموماً، أو على عدد منها، ويدخل في غضون ذلك بيان لأنواع التوحيد إجمالاً أو تفصيلاً حسب حجم تلك الكتب.

أما إفرادهما، أو إفراد أحدهما في التأليف، بل وجمعهما مع توحيد الأسماء والصفات في مؤلف واحد فنادر جداً. بخلاف توحيد الأسماء والصفات؛ فإن إفراده بالكتابة كثير متوافر.

والحديث في هذا المطلب سيكون قراءة لبعض الكتب التي قصدت هذين النوعين بالتأليف؛ فإلى تلك القراءة، والله المستعان، وعليه التكلان.

وه أولاً: «دعوة التوحيد - أصولها - الأدوار التي مرت بها - مشاهير دعواتها»: تأليف الشيخ العلامة الدكتور محمد خليل هراس:

وقد ولد سنة (١٩١٦م)، بقرية الشين مركز قطور، محافظة

الغربية، طنطا - مصر - .

وقد بدأ تعليمه في الأزهر عام (١٩٢٦م)، وتخرج في كلية أصول الدين عام (١٩٤٠م)، وحاز على الدكتوراه في التوحيد والمنطق، وكان موضوع رسالته: «باعت النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي - نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات»، وهي رسالة مطبوعة عظيمة في بابها.

عمل أستاذًا بكلية أصول الدين في الأزهر، ثم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم رئيسًا لشعبة العقيدة في قسم الدراسات العليا في كلية الشريعة سابقًا - جامعة أم القرى حاليًا في مكة المكرمة - .

ثم عاد إلى مصر، وشغل منصب نائب الرئيس العام لأنصار السنة المحمدية.

كان رَحِمَهُ اللهُ سلفي العقيدة، راسخ العلم، قوي الحجة والبيان. وكان محل الثناء والتقدير عند العلماء؛ كسماحة الشيخ ابن باز، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ عبدالرحمن الوكيل، وغيرهم - رَحِمَهُمُ اللهُ - .

وقد تُوفِّي رَحِمَهُ اللهُ عام (١٩٧٥م - ١٣٩٥هـ)، عن عمر يناهز الستين عامًا، بعد حياة حافلة بالعلم، والدعوة، والتعليم، والتأليف.

ولقد حصل الباحث موسى السلمي على درجة الماجستير

في العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة في موضوع عنوانه «الشيخ خليل هراس، وجهوده في تقرير عقيدة السلف».

هذا وقد ترك الشيخ الهراس آثارًا قيمة كثيرة، منها:

١ - باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي.

٢ - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية.

٣ - شرح القصيدة النونية لابن القيم.

٤ - التعليق على الكلم الطيب لابن تيمية.

٥ - التعليق على كتاب الأموال لأبي عبيد.

٦ - التعليق على كتاب المحلى لابن حزم.

٧ - كتاب الفلسفة الإغريقية.

٨ - الحركة الوهابية، رد على مقال للدكتور محمد البهي في

نقد الوهابية^(١).

وغيرها كثير، ومنها هذا الكتاب المراد الحديث عنه هنا، وهو

«دعوة التوحيد»؛ فهذا الكتاب من أعظم ما ألفه الشيخ، ومن

أنفس ما كتب في بابه، ويقع في (٢٨٠) صفحة من القطع

المتوسط، وقد طبعته مكتبة الصحابة بطنطا، وليس عليها تاريخ

(١) انظر: خاتمة كتاب باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية، وترجمة تلميذه

الشيخ عبدالفتاح سلامة - الشبكة العالمية - الانترنت - .

الطبعة، وهي طبعة ليست بالجيدة، ولا ترتقي إلى قيمة الكتاب .
 هذا وقد جاء منهج البحث في ذلك الكتاب - كما حدّده
 مؤلفه - على شطرين:

[أ] شطر موضوعي: يتعلق ببيان معاني التوحيد، وأقسامه،
 وتقرير كل قسم منها، وسوق الأدلة المثبتة له، وعلاقة كل قسم
 منها بالآخر.

ثم بيان الأشياء المنافية لكل نوع منها، إلى غير ذلك مما يتعلق
 بلفظة التوحيد من قريب أو بعيد.

[ب] شطر تاريخي: يتعلق بالأدوار التي مرت بها دعوة
 التوحيد من عهد آدم - ﷺ - إلى ظهور الإسلام.
 ويتضمن تفصيل ما قامت به الرسل - ﷺ - من دعوة أممهم
 إلى التوحيد، وكيف كان هو الأساس الأول لرسالاتهم، ثم بيان
 موقف أممهم من هذه الدعوات، وكيف أن معظمهم صدوا
 عنها، وأثاروا الشغب حولها، وحاولوا فتنة من اتبعها؛ فاستوجبوا
 العذاب والهلاك^(١).

ثم يبين ﷻ أن هذا الشطر يتضمن بيان أن الدين فطرة غرزاها
 الله في البشر، وأنهم كانوا متفقين أول الأمر على التوحيد قبل أن
 تزين لهم الشياطين عبادة الطواغيت، واتخاذ الأصنام والعكوف
 عليها^(٢).

(١) انظر: دعوة التوحيد ص ٥ - ٦. (٢) انظر: المرجع السابق ص ٦.

وقال بعد ذلك موضِّحًا مزايا هذا المنهج الذي سيسير عليه: «ووفقًا لهذا المنهج الذي بيناه آنفًا سيكون هذا البحث هو الأول من نوعه فيما نعلم؛ فإننا لم نرَ أحدًا من الباحثين جمع بين المنهجين في مؤلفه، بل اقتصر عامتهم على الناحية الموضوعية. أما الناحية التاريخية فلم تذكر على سبيل الاستقلال، وإنما جاءت في معرض الحديث عن قصص الأنبياء»^(١).

ثم شرع بعد ذلك في توضيح ما قصد إليه، وبدأ في بيان المدلول اللغوي لكلمة التوحيد، والمعاني الاصطلاحية لها، وناقش خلال ذلك الشيخ محمد عبده في تعريفه للتوحيد، وذلك حين عرّفه في كتابه «رسالة التوحيد» بأنه: «علم يُبحث فيه عن وجود الله، وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن يُنفى عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم»^(٢).

فاستدرك عليه الشيخ الهراس بقوله: «فلم يذكر في تعريفه شؤون الغيب وأحوال المعاد»^(٣).

كما استدرك الشيخ الهراس على الشيخ محمد عبده تعريفه

(١) انظر: المرجع السابق ص ٦.

(٢) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ٥.

(٣) دعوة التوحيد ص ٨.

لأصل معنى التوحيد، وذلك حين قال الشيخ عبده: «وأصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له.

وسمي هذا العلم به تسميةً له بأهم أجزائه، وهو إثبات الوَحْدَةِ له في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون، ومنتهى كل قصد.

وهذا المطلوب كان الغاية العظمى من بعثة النبي ﷺ كما تستمد به آيات الكتاب العزيز»^(١).

قال الشيخ الهراس - مستدرِكًا - : «وقد غلط الشيخ عبده في اعتبار توحيد الربوبية والانفراد بالخلق هو الغاية العظمى من بعثة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ؛ فإن هذا النوع من التوحيد كانت تُقَرَّبُ به الأمم التي بُعثت إليها الرسل، ولم يقع نزاع فيه بينهم وبين الرسل.

وإنما كان النزاع في توحيد الإلهية والعبادة؛ ولهذا لم يجئ على لسان الرسل - ﷺ - الدعوة إلى اعتقاد أن الله وحده هو الخالق، وإنما كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لا شريك له؛ فكلُّ منهم كان مفتح دعوته لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٢).

ويواصل الشيخ الهراس استدراكه، فيقول: «ولهذا - أيضًا -

(١) رسالة التوحيد لمحمد عبده ص ٥.

(٢) دعوة التوحيد ص ٩.

كانت كلمة التوحيد التي أمر الرسول ﷺ أن يدعو إليها، وأن يقاتل الناس حتى يقولوها هي: «لا إله إلا الله».

ومعنى «الإله»: المعبود، ولو كان توحيد الربوبية هو المقصود لكانت كلمة التوحيد هي: «لا رب إلا الله».

والقرآن نفسه يحكي عن المشركين أنهم كانوا يقرون بالربوبية المطلقة، قال - تعالى - : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال - تعالى - : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] (١).

ثم يعلل الشيخ الهراس للشيخ عبده، ويلتمس له العذر في غلطه، فيقول: «ولعل فضيلة الشيخ عبده في هذا كان متأثراً بالأشعرية الذين جعلوا الانفراد بالخلق هو أخص خصائص الإلهية، واهتموا في كتبهم بإقامة البراهين على هذا النوع من التوحيد؛ دون أن يشير إلى توحيد الإلهية الذي هو أقصى الغايات، ونهاية النهايات» (٢).

ثم يشيد باستدراك الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ حين استدرك في هامش رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده رَحِمَهُ اللهُ.

(١) المرجع السابق ص ١٠.

(٢) دعوة التوحيد ص ١٠.

يقول الشيخ الهراس: «وقد أحسن العلامة السيد رشيد رضا حيث قال مستدركاً على أستاذه: «فات الأستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة، وهو أن يُعبدَ الله وحده، ولا يعبد غيره بدعاء ولا بغير ذلك مما يتقرب به المشركون إلى ما عبدوا معه من الصالحين، والأصنام المُذَكَّرَةِ بهم، وغير ذلك كالنذور والقرايين تذبح بأسمائهم أو عند معابدهم.

هذا التوحيد هو الذي كان يدعو إليه كلُّ رسولٍ قومه بقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ «انتهى»^(١).

وهكذا يسترسل الشيخ الهراس في بيان معنى التوحيد على هذا النحو، مستدلاً بآيات الكتاب العزيز، وموجهًا تلك الأدلة إلى المعنى الصحيح في بيان معنى التوحيد.

ثم قرر بعد ذلك أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع، وهي توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وقال: «وأرى واجباً الآن أن أخص كل واحد من هذه الأنواع ببحث يجلي غامضه، ويحدد مفهومه، ثم آخذ بعد ذلك في بيان علاقة كل منهما بالآخر»^(٢).

ثم شرع بعد ذلك في تفصيل ما وعد به ببيان مشرق، وتفصيل بدیع، واستدلال بارع على وفق ما قرر السلف الصالح في هذا

(١) رسالة التوحيد ص ٥.

(٢) دعوة التوحيد ص ١٣.

الشأن^(١).

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن آثار الشرك ومفاسده^(٢)، ثم إلى مجمل قصة آدم^(٣)، ثم إلى ابتداء حدوث الشرك^(٤)، ثم فصل الحديث عن دعوة الأنبياء من لدن نوح إلى محمد عليه الصلاة والسلام^{(٥)(٦)}، ثم بين بعد ذلك أن الإسلام هو المثل الأعلى للإنسانية، ثم انتقل إلى الحديث عن العقيدة الإسلامية^(٧)، ثم إلى جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في التوحيد^(٨).

وتطرق بعد ذلك إلى نشوء الخلاف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم^(٩)، ثم انتقل إلى الكلام على الطوائف المنحرفة: القدرية، المرجئة، الجهمية، المعتزلة^(١٠).

ثم ختم الكتاب بالكلام على المتصوفة، ومفاسدها، والرد عليها^(١١)، ثم أنهى الكتاب بخاتمة أوصى بها بالاعتصام بالحق،

-
- (١) انظر: دعوة التوحيد ص ١٣ - ٨٦.
 (٢) انظر: المرجع السابق ص ٨٧ - ٨٨.
 (٣) انظر: المرجع السابق ص ٨٨ - ١٢٢.
 (٤) انظر: المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٥.
 (٥) انظر: المرجع السابق ص ١٢٥ - ٢٥٠.
 (٦) انظر: المرجع السابق ص ٢٥٠ - ٢٥٢.
 (٧) انظر: المرجع السابق ص ٢٥٢ - ٢٥٧.
 (٨) انظر: المرجع السابق ص ٢٥٧ - ٢٦٠.
 (٩) انظر: المرجع السابق ص ٢٦٠ - ٢٦٥.
 (١٠) انظر: المرجع السابق ص ٢٦٦ - ٢٧٤.
 (١١) انظر: المرجع السابق ص ٢٧٤ - ٢٧٦.

وسؤال الله الثبات عليه^(١).

وبالجملة فالكتاب عظيم القدر، جليل النفع، ومن أعظم ما يبحث في أنواع التوحيد.

ومع ذلك فلم يأخذ حقه اللائق من الذيوع والانتشار.

﴿ثانياً: «بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، ودحض الشبهات التي أثيرت حوله»، للشيخ العلامة الدكتور صالح بن عبدالله الفوزان.

ويقع في أربع وخمسين صفحة من القطع المتوسط، وهو من منشورات إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

والكتاب واضح من عنوانه، وقد اشتمل على مقدمة نوّهت بشأن العقيدة الإسلامية^(٢)، وبيان أن العبادة حق لله على عباده، وأن هذا الحق يسمى توحيد العبادة، أو توحيد الإلهية، أو توحيد الطلب والقصد، وأن التوحيد مركوز في الفطر، وأن الشرك طارئ^(٣).

ثم انتقل إلى بيان أنواع التوحيد بالتفصيل، وأرجعها إلى نوعين:

(١) انظر: المرجع السابق ص ٢٧٦.

(٢) انظر: بيان حقيقة التوحيد ص ٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٨ - ٩.

النوع الأول: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية ثم فصل القول في مقتضياته^(١).

النوع الثاني: توحيد العبادة المتمثل في أفراد الله في الطلب والقصد في كل ما يصدر من العبد من أنواع العبادة، ثم شرع في تفصيل مقتضيات ذلك التوحيد^(٢).

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان العلاقة بين نوعي التوحيد، وأنها تقوم على التلازم^(٣).

ويبين بعد ذلك الشرك في توحيد العبادة، وفصل القول فيه، مبيّناً ما كان بين الرسل وأقوامهم المعاندين، منطلقاً بذلك من نصوص الكتاب والسنة، مفنداً شبه المشركين على اختلاف تلك الشبه من شفاعاة، وتبرك، وتوسل، ومنامات، وحكايات ونحو ذلك^(٤).

ثم ختم كتابه بخاتمة بين من خلالها خطورة الشرك، وأنه أعظم أنواع الظلم، وأوضح ما يترتب على الشرك من أحكام في الدنيا والآخرة^(٥).

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٤.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٥.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٢٤ - ٥١.

(٥) انظر: المرجع السابق ص ٥٢ - ٥٤.

﴿ ثالثاً: «حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية»: للدكتور علي بن نفيح العلياني:

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة - قسم العقيدة، وصاحب كتاب «الجهاد»، وكتاب «التبرك المشروع والممنوع»، وكتاب «الرقى» وغيرها.

وكتابه «حقيقة التوحيد» يقع في مجلد لطيف، وفي ١٥٦ صفحة، وهو من منشورات دار الوطن ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

وهذا الكتاب من الكتب القليلة النادرة التي أفردت نوعي التوحيد: الربوبية والألوهية بالتأليف.

وقد استهله بمقدمة بين من خلالها دافعه إلى تأليف ذلك الكتاب، وهو - كما يقول - : «دحض شبه الملبسين على الناس في باب التوحيد الذين اتخذوا من تقسيمات التوحيد عند ابن تيمية وغيره من العلماء مجالاً للتشكيك في صحة وجودها في القرآن والسنة»^(١).

هذا وقد قسم المؤلف بحثه إلى باين وخاتمة، وذلك كما يلي:

الباب الأول: حقيقة التوحيد، وتحت أربعة فصول:

الفصل الأول: التوحيد في اللغة.

(١) حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية ص ٥.

الفصل الثاني: التوحيد في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: التوحيد في سنة المصطفى ﷺ.

الفصل الرابع: التوحيد في فهم السلف الصالح.

الباب الثاني: أقسام التوحيد ودحض شبهة الملبسين، وتحتة

ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أقسام التوحيد عند الانفراد والخلو من القرينة.

الفصل الثاني: أقسام التوحيد عند الاقتران أو وجود قرينة.

الفصل الثالث: دحض شبهة الملبسين.

وتحت كل فصل من هذه الفصول عرض، واستدلال، وبيان،

وتفصيل.

ثم ختم كتابه بخاتمة بين فيها أهم النتائج، وذيل بحثه بفهرس

للمراجع، وفهرس للموضوعات.

ولعل أجلى ميزة في الكتاب هي - كما مر - إفراده لنوعي

التوحيد بمؤلف خاص.

أما أجلى مأخذ على الكتاب فهو حاجته إلى مزيد من الدقة

والوضوح خصوصاً في عنوانات الأبواب والفصول.

مثال ذلك: عنوان الكتاب هكذا «حقيقة التوحيد والفرق بين

الربوبية والألوهية»، وقد جاء هذا البحث في بايين - كما مر - .

وجاء الباب الأول حاملاً المسمى التالي: «حقيقة التوحيد».

وهذا حسن؛ لأنه مطابق للعنوان، ومن ميزات البحث أن يكون مطابقاً للعنوان، ويكون العنوان دالاً على ما تحته.

وكان المفترض أن يكون الباب الثاني هكذا: «الفرق بين الربوبية والألوهية» حتى يكون ملائماً للعنوان تماماً.

ولكنه جاء هكذا: «أقسام التوحيد ودحض شبهة الملبسين».

ولا بأس بهذا العنوان، ولكن الأول أولى وأدق.

فهذه نبذة عن ذلك الكتاب، وأبرز سماته والمآخذ عليه.

رابعاً: «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد»،

للأستاذ الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر:

المولود عام (١٣٨٢هـ)، الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية - سابقاً - ، والمدرس في المسجد النبوي، وصاحب المؤلفات المعروفة، ومنها: «الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في العقيدة»، وهو رسالته للماجستير، وكتاب «الإيمان زيادته ونقصانه وحكم الاستثناء فيه»، وهو رسالته للدكتوراه، وكتاب «فقه الأدعية والأذكار»، وغيرها من الكتب المعروفة النافعة.

كما أن له مشاركات إعلامية عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

وكتابه هذا يقع في ١١٥ صفحة، وهو من مطبوعات دار الغرباء الأثرية الطبعة الأولى عام (١٤١٤هـ)، وقد قدم له معالي

الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله الفوزان.
وهذا الكتاب من الكتب النادرة التي خُصِّصت للرد على من
أنكر تقسيم التوحيد.

وهو رد علمي على: حسن بن علي السقاف الذي ألف كتاباً
عنوانه: «التنديد بمن عدد التوحيد: إبطال محاولة التثليث في
التوحيد والعقيدة الإسلامية»^(١).

وهذا العنوان يوحى - بادي الرأي - بالمغالطة، والخلط،
والتليس.

وقد انبرى له الشيخ الدكتور عبدالرزاق - حفظه الله - بالرد
والبيان، وأوضح من خلال ذلك مفهوم أنواع التوحيد، وأن
تقسيمها تقسيم صحيح، وأنه مستوحى من نصوص الوحيين،
وذلك من خلال الاستقراء لهما.

كما استضاء في رده بأضواء الكتاب والسنة، وأقوال السلف
الصالح.

وقد جاء الرد مشتملاً على الأمانة العلمية، وإيراد قول
المؤلف وتفنيده.



(١) حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية ص ٥.

المحتويات

المُقدِّمة	٥
المطلب الأول: الفرقُ بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ..	٧
أولاً: يختلفان في أصل المادة، والاشتقاق والمعنى اللغوي: ...	٧
ثانياً: يختلفان في المعنى الاصطلاحي:	٩
ثالثاً: يختلفان في الأسماء:	١١
رابعاً: توحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد:	١٢
خامساً: توحيد الربوبية ألصق بتوحيد الأسماء والصفات: ...	١٣
سادساً: يختلفان في مُتعلِّقهما:	١٤
سابعاً: يختلفان في المدلول:	١٤
ثامناً: الإقرار به:	١٤
تاسعاً: أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية:	١٥
عاشراً: أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية:	١٦
حادي عشر: أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا:	١٦
المطلب الثاني: التأليف في توحيد الربوبية	١٩
أولاً: المؤلفات الخاصة بتوحيد الربوبية:	٢٠
ثانياً: المؤلفات التي تعرضت لتوحيد الربوبية:	٢٢
ثالثاً: توحيد الربوبية في كتب العقيدة العامة الجامعة:	٢٣
المطلب الثالث: التأليف في توحيد الألوهية	٢٩
أولاً: المجلد الأول من «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية	

- ٣٠: رَحْمَةُ اللَّهِ
- ثانياً: «مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، للإمام ابن قيم الجوزية رَحْمَةُ اللَّهِ: ٣٢
- ثالثاً: «تجريد التوحيد المفيد»، للإمام العلامة أحمد المقرئ المصري الشافعي: ٣٢
- رابعاً: «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ: ٣٥
- خامساً: «عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية»، للشيخ العلامة سعد بن حمد بن عتيق: ٣٦
- المطلب الرابع: التأليف في الجمع بينهما** ٤٧
- أولاً: «دعوة التوحيد - أصولها - الأدوار التي مرت بها - مشاهير دعائها»: تأليف الشيخ العلامة الدكتور محمد خليل هراس: ٤٧
- ثانياً: «بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، ودحض الشبهات التي أثيرت حوله»، للشيخ العلامة الدكتور صالح بن عبد الله الفوزان. ٥٦
- ثالثاً: «حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية»: للدكتور علي بن نقيع العلياني: ٥٨
- رابعاً: «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد»، للأستاذ الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر: ٦٠
- المحتويات ٦٣